الصلاة على

"هيئة كبار العلماء"

للشيخ

أبي المنذر الشنقيطي

حفظه الله تعالى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على نبيه الكريم

وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد :

هناك هيئة لكبار العلماء معيّنة من طرف النظام السعودي .

لكن الهيئة الحقيقية لكبار العلماء هم أولئك العلماء الذين رمى بهم النظام خلف السجون فكان السجن أحب إليهم من كتم الحق وقول الباطل .

لقد كان الصبر على قول الحق والاستعداد للسجن يعتبر دائماً امتحاناً صعباً لا ينجح فيه إلا كبار العلماء .

نجح في هذا الامتحان الإمام أحمد ابن حنبل، ونجح فيه شيخ الإسلام ابن تيمية فكانا من أكبر علماء المسلمين على مر التاريخ ..

والعلماء المحاصرون اليوم في سجون النظام السعودي هم أتباع الإمام احمد وهم أتباع شيخ الإسلام ابن تيمية ..وهم هيئة كبار العلماء الذين ينبغي أن يستفتيها الناس .

وقد قامت هيئة كبار العلماء المعينة من طرف النظام السعودي بإصدار فتوى تحرّم التظاهر ضد النظام السعودي وهذا نصها :

نص الفتوى

بيان من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بتاريخ ١/٤/١٤٣٢هـ.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبدالله ورسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فلقد أخذ الله – عز وجل – على العلماء العهد والميثاق بالبيان قال سبحانه في كتابه الكريم : ((وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)) آل عمران : ١٨٧.

وقال جل وعلا : ((إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)) البقرة ١٥٩.

ويتأكد البيان على العلماء في أوقات الفتن والأزمات ؛ إذ لا يخفى ما يجري في هذه الأيام من أحداث واضطرابات وفتن في أنحاء متفرقة من العالم، وإن هيئة كبار العلماء إذ تسأل الله – عز وجل – لعموم المسلمين العافية والاستقرار والاجتماع على الحق حكاماً ومحكومين، لتحمد الله سبحانه على ما من به على المملكة العربية السعودية من اجتماع كلمتها وتوحد صفها على كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل قيادة حكيمة لها بيعتها الشرعية أدام الله توفيقها وتسديدها، وحفظ الله لنا هذه النعمة وأتمها .

وإن المحافظة على الجماعة من أعظم أصول الإسلام، وهو مما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه العزيز، وعظم ذم من تركه، إذ يقول جل وعلا ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون)) آل عمران :١٠٣.

وقال سبحانه : ((ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)) آل عمران :١٠٥ وقال جل ذكره :((إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)) الأنعام:١٥٩.

وهذا الأصل الذي هو المحافظة على الجماعة مما عظمت وصية النبي صلى الله عليه وسلم به في مواطن عامة وخاصة، مثل قوله عليه الصلاة والسلام : " يد الله مع الجماعة " رواه الترمذي .

كما تحذر من الارتباطات الفكرية والحزبية المنحرفة، إذ الأمة في هذه البلاد جماعة واحدة متمسكة بما عليه السلف الصالح وتابعوهم، وما عليه أئمة الإسلام قديماً وحديثاً من

لزوم الجماعة والمناصحة الصادقة، وعدم اختلاف العيوب وإشاعتها، مع الاعتراف بعدم الكمال، ووجود الخطأ وأهمية الإصلاح على كل حال وفي كل وقت.

وإن الهيئة إذ تقرر ما للنصيحة من مقام عال في الدين حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة " قيل لمن يا رسول الله ؟ قال : " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " رواه مسلم.

ومع أنه من أكد من يناصح ولي الأمر حيث قال عليه الصلاة والسلام : " إن الله يرضى لكم ثلاثاً، أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم " رواه الإمام أحمد .

فإن الهيئة تؤكد أن للإصلاح والنصيحة أسلوبها الشرعي الذي يجلب المصلحة ويدرأ المفسدة، وليس بإصدار بيانات فيها تهويل وإثارة فتن وأخذ التواقيع عليها، لمخالفة ذلك ما أمر الله عز وجل به في قوله جل وعلا ((وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلاً)) النساء٨٣.

وبما أن المملكة العربية السعودية قائمة على الكتاب والسنة والبيعة ولزوم الجماعة والطاعة فإن الإصلاح والنصيحة فيها لا تكون بالمظاهرات والوسائل والأساليب التي تثير الفتن وتفرق الجماعة، وهذا ما قرره علماء هذه البلاد قديماً وحديثاً من تحريمها، والتحذير منها .

والهيئة إذ تؤكد على حرمة المظاهرات في هذه البلاد، فإن الأسلوب الشرعي الذي يحقق المصلحة، ولا يكون معه مفسدة، هو المناصحة وهي التي سنها النبي صلى الله عليه وسلم، وسار عليها صحابته الكرام وأتباعهم بإحسان .

وتؤكد الهيئة على أهمية اضطلاع الجهات الشرعية والرقابية والتنفيذية بواجبها كما قضت بذلك أنظمة الدولة وتوجيهات ولاة أمرها ومحاسبة كل مقصر.

والله تعالى نسأل أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه، وأن يجمع كلمتنا على الحق، وأن يصلح ذات بيننا، ويهدينا سبل السلام، وأن يرينا الحق حقاً، ويرزقنا إتباعه، ويرينا الباطل باطلاً، ويرزقنا اجتنابه، وأن يهدي ضال المسلمين، وهو المسؤول

سبحانه أن يوفق ولاة الأمر لما فيه صلاح العباد والبلاد، إنه ولي ذلك القادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ظروف الفتوى

وظروف هذه الفتوى تكشف حقيقتها وتبين أهدافها ومراميها :

نظام جبروتي مفسد ..عرشه يهتز وأركانه تتداعى ..والجماهير تسعى للإنقضاض عليه..

وهيئة دينية تابعة لهذا النظام أنشأها على سمعه وبصره وهي في قبضة يده ..

هي جهاز من أجهزة الدولة ومؤسسة من مؤسساتها يتم استنفارها في حالة الخطر لتقوم برفقة أجهزة الدولة الأخرى بالحفاظ على نظام الحكم وبقائه واستمراره .

لقد كان النظام حريصا على الهيمنة على الخطاب الديني في بلاد الحرمين فقام بمحاصرة كل مصادر الفتوى التي لا تستظل بقبة الديوان الملكي ..حتى لا يسمع الناس من الدين إلا ما كان منسجما مع مصلحة الأسرة الحاكمة ..

والنظام السعودي لا يخفي هذا الاستغلال للدين بل يجهر به .

وهذا هو معنى قول الأمير سلمان :

" نحن والدين شيء واحد ومتى تخلينا عن الدين سقطت الدولة "

قصة الهيئات الدينية الرسمية باختصار تتمثل في أن هذه الأنظمة لديها حراسة عسكرية و حراسة دينية.

فكما أن لها قوة تحرسها بالسلاح متمثلة في الجيش والعسكر ..

فلديها أيضا قوة تحرسها بالدين متمثلة في الهيئات الدينية الرسمية !

من طبيعة هذه الأنظمة أنها لا تقوم بأي عمل في سبيل الله أو من أجل الشعب ..

بل كل ما يخرج من يدها يصب في مصلحتها .

ولهذا فإن كل ما تقوم به من رعاية للهيئات الدينية الرسمية والإنفاق بسخاء على أعضائها ليس إكراما للعلم والعلماء بل هو مكافأة لمن يظهر الطاعة والولاء ..

ولو كان للأمر علاقة بإكرام العلم وأهله لما كانت سجون النظام غاصة برموز العلماء ونخبة طلاب العلم ..

فالقاعدة المتبعة عند هذا النظام هي : إكرام الموالين وإهانة المخالفين ولو كانوا من العلماء والصالحين .

لقد قام الحكام بتكوين هذه الهيئات الدينية والإنفاق عليها واختيار أعضائها ورسم طريقة عملها وصياغتها بالطريقة التي يريدون حتى يستفيدوا منها في مثل هذه الأوقات الحرجة، وحتى يتمكنوا –عن طريقها– من التحكم في عقول الناس وصياغة أفكار العامة بما يخدم مصلحتهم الخاصة .

وهو الدور نفسه الذي تؤديه وسائل الإعلام الرسمية .

وحين تكون نشرات الأخبار وبرامج الإذاعة وخطب المنابر وفتاوى الشيوخ تصب في اتجاه واحد هو تقديس الحاكم وتمجيده فلن يستطيع العامي المسكين الخروج من هذا القفص المحكم !

لكن هذا القفص بحمد الله لم يعد محكما في عصر الانترنت والفيسبوك ..

وهو ما يتجاهله الحكام ومن حالفهم من الشيوخ ..

لقد انكشف الغطاء وبان المستور، وأصبح الناس يتناقلون في ثانية أنباء مفصلة وموثقة عن جرائم هؤلاء الحكام وفسقهم وفجورهم وعمالتهم وكفرهم ..

وأصبح الشيوخ في وضع لا يحسدون عليه وكأنهم بلسان حالهم يناشدون الجماهير التي أصبحت في غاية الوعي واليقظة أن تعود لغفلتها وتستمر على دَرْوَشَتِها ..!

تماما كما كانت الكنيسة قبيل عصر النهضة تمنع الناس من العلم وتحضهم على الجهل حتى يظلوا مؤمنين بعقيدتها وقابعين تحت سيطرتها ..!

***

أين الدليل ؟

الحقيقة أن الشيوخ الذين يتحدثون عن حرمة المظاهرات ليس لديهم أي أدلة شرعية تصلح حتى لمجرد الاستئناس بها ..

الأمر لا يتعلق بحلال أو حرام أو سنة أو بدعة ..

الأمر يتعلق بمصالح سياسية يستخدم الدين ورجال الدين من أجل تحقيقها ..

القضية أيضا لا تتعلق بحرمة المظاهرات في نفسها بل لكونها وسيلة للاحتجاج ضد النظام المطلوب من الشيوخ حمايته ..

ولهذا لوسئلت الهيئة عن حكم التظاهر تأييدا للنظام السعودي فلا أظن أنها ستتردد في القول بمشروعيته ..

نحن نعلم من ديننا أن أقوال أهل العلم يستدل لها ولا يستدل بها ..

ونعتبر فتوى الهيئة في تحريم المظاهرات فتوى ضعيفة التأصيل تحتاج إلى الدليل ..

ومتى ظهر الدليل انقدنا له انقيادا ..

أما العلماء فيؤخذ من قولهم ويرد .

الدين الإسلامي ليس ملكا للشيوخ وليس عجينة في أيديهم يشكلونها كما يشتهون ..

الدين الإسلامي هو الكتاب والسنة فمن تقيد بهما انقاد له الناس ومن حاد عنهما حاد عنه الناس .

وإذا كانت هذه الهيئة تستدل لحرمة المظاهرات بكونها لم تحدث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عصر الصحابة ولم يعمل به السلف ..

فإن هذا الدليل أيضا يقضي ببطلان هيئة كبار العلماء نفسها لأن هذا النوع من الهيئات الدينية لم يحدث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عصر الصحابة ولم يعمل به السلف .

إن أصحاب هذه الفتاوى لا يعتمدون على الدليل والحجة بقدر ما يعتمدون على مكانتهم ومناصبهم التي يحاولون استغلالها في تمرير مثل هذه الفتاوى ..

هم يعلمون أنه لا قيمة لكلامهم من الناحية الشرعية، لكنهم يراهنون على أن العامة مقلدون بطبعهم لمن تبرزه وسائل الإعلام من الشيوخ أو تفرضه المناصب الرسمية .

***

فتوى إجبارية ..!

أعتقد أنه إذا تعلق الأمر بالسياسة فيجب التفريق بين نوعين من الفتاوى :

فتاوى أهل العلم المتحررين الذين لا يتبعون هيئة أو نظاما ولا يخضعون لوظيفة أو منصب .

وفتاوى الهيئات الدينية الرسمية التابعة للأنظمة والخاضعة لها ..

إن أعضاء هذه الهيئات في محنة وورطة كبيرة ..

فهم لا يستطيعون في أي فتوى أن يخرجوا على رغبة الحاكم ويفتوا بما يخالف إرادته ..

لأن عقوبة ذلك ليست محصورة في التهميش والطرد من الوظيفة فحسب بل قد تصل إلى الالتحاق بجموع العلماء المسجونين وراء القضبان!

وطبقا لما صرح به بعض أعضاء الهيئة في فترة سابقة فإن الفتاوى تأتيهم جاهزة ومهمتهم (الإجبارية) هي الإمضاء !!

الكثير منهم يعتبر نفسه مكرها وأنه لا قدرة له على مواجهة النظام .

وقد ذكرني هؤلاء بقصة (ابن زرعة) التي رواها ابن جبير في رحلته فقال متحدثا عن بعض نواحي الأندلس بعد سقوطها :

(وربما تسبب بعض أشياخهم أسباب نكالية تدعوه إلى فراق دينه، فمنها قصة اتفقت في هذه السنين القريبة لبعض فقهاء مدينتهم التي هي حضرة ملكهم الطاغية، ويعرف بابن زرعة، ضغطته العمال بالمطالبة حتى أظهر فراق دين الإسلام والانغماس في دين النصرانية،

ومهر في حفظ الإنجيل ومطالعة سير الروم وحفظ قوانين شريعتهم، فعاد في جملة القسيسين الذين يستفتون في الإحكام النصرانية، وربما طرأ حكم اسلامي فيستفتى أيضاً فيه لما سبق من معرفته بالأحكام الشرعية، ويقع الوقوف عند فتياه في كلا الحكمين، وكان له مسجد بإزاء داره أعاده كنيسة، نعوذ بالله من عواقب الشقاوة وخواتم الضلالة، ومع ذلك أعلمنا أنه يكتم إيمانه..) رحلة ابن جبير – (١ / ١٣١).

وبعض الأعضاء في الهيئة يعتبر أن اتخاذ أي موقف معارض للحكومة قد يؤدي إلى تأليب الجماهير عليها ومن ثم إثارة الفتن فلا يجد بدا من الدوران في فلك النظام !

منذ إنشاء هيئة كبار العلماء لم نعلم أنها اتخذت موقفا يعارض مواقف النظام السعودي!

حتى في أخطاء النظام القاتلة التي صرخ بنقدها الصم والبكم لم تتكلم الهيئة بل كانت هي الصماء البكماء !

عندما سمح النظام بدخول القوات الأمريكية إلى بلاد الحرمين لم تعترض الهيئة ..!

وعندما شارك النظام السعودي في غزو أفغانستان والعراق لم تعترض الهيئة ..!

وعندما زج بالعلماء في السجون بسبب صدعهم بالحق لم تعترض الهيئة ..!

فمتى ستعترض الهيئة ؟

أعندما يقرر النظام نسف الكعبة ؟

ولو قرر هل ستعجز عن إيجاد رخصة له ؟

النظام السعودي ليس معصوما ..

وموقف الهيئة ينبغي ان يكون دائرا مع الحق لا مع النظام ..فإذا افترق الحق والنظام فعلى الهيئة ان تكون في جانب الحق .

***

كبار العلماء أكبر من النظام ..

نحن نتمنى لأعضاء هيئة كبار العلماء أن يكون كبارا بالفعل ولا يسمحوا للنظام السعودي باستصغارهم واتخاذهم جسرا للعبور إلى مصالحه الشخصية ..

فمنزلة العلماء أسمى وأعلى من هذا المقام ..

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

وقد كان أهل العلم من شدة إكرامهم للعلم يرفضون الإنتقال إلى من يريد التعلم من الأمراء .

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية :

(قال مالك : وجه إليّ الرشيد أن أحدثه، فقلت : يا أمير المؤمنين إن العلم يُؤتى ولا يأتي .

فصار إلى منزلي فاستند معي على الجدار فقلت له : يا أمير المؤمنين إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم، فقام فجلس بين يدي قال فقال بعد مدة : يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع به .....

وروى البيهقي وغيره أن المهدي لما قدم المدينة حاجا جاءه مالك فسلم عليه فأمر المهدي ابنه موسى الهادي وهارون الرشيد أن يسمعا منه فطلباه إليهما فامتنع فعاتبه المهدي في ذلك فقال : يا أمير المؤمنين إن للعلم نضارة يؤتى أهله .

وفي رواية : العلم أهل أن يوقر ويؤتى أهله، فأمرهما والدهما بالمصير إليه ...

وقال سفيان بن عيينة لو أن أهل العلم طلبوه لما عند الله لهابهم الناس ولكن طلبوا به الدنيا فهانوا على الناس وقال سفيان : ما زال العلم عزيزا حتى حمل إلى أبواب الملوك وأخذوا عليه أجرا فنزع الله الحلاوة من قلوبهم ومنعهم العمل به .

وقال ابن الجوزي ينبغي للعالم أن يصون العلم ولا يبذله ولا يحمله إلى الناس خصوصا إلى الأمراء). [الآداب الشرعية – (٢ / ١٢٢)]

وقال الأبشيهي في المستطرف :

(عن الفضيل رحمه الله تعالى أنه قال لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله إذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا فإنا لله وإنا إليه راجعون فأعظم بها مصيبة).[المستطرف في كل فن مستظرف – (١ / ٤٩)]

وإذا كان مجرد تنقل العالم إلى الأمراء ليعلمهم يعتبر إذلالا للعلم، فما الظن بالخضوع لهم في الفتوى (وتفصيل الدين على مقاسهم) ؟

***

خطأ التصور والحكم ..!

وبما أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره فلا غرابة أن تصل الهيئة إلى نتيجة تحريم المظاهرات لأنها انطلقت في فتواها من صورة مثالية تقول :

إن البلاد تحكم بالكتاب والسنة ونظامها يسير على نهج السلف الصالح شبرا بشبر وذراعا بذراع ..

وليس في سلوكيات ولاة الأمر ما يبيح الخروج عليهم أو تأليب الناس ضدهم ..

حيث قالت الهيئة في بيانها :

(وإن هيئة كبار العلماء إذ تسأل الله – عز وجل – لعموم المسلمين العافية والاستقرار والاجتماع على الحق حكاماً ومحكومين، لتحمد الله سبحانه على ما من به على المملكة العربية السعودية من اجتماع كلمتها وتوحد صفها على كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل قيادة حكيمة لها بيعتها الشرعية أدام الله توفيقها وتسديدها، وحفظ الله لنا هذه النعمة وأتمها) .

وقالت :

(وبما أن المملكة العربية السعودية قائمة على الكتاب والسنة والبيعة ولزوم الجماعة والطاعة فإن الإصلاح والنصيحة فيها لا تكون بالمظاهرات والوسائل والأساليب التي تثير الفتن وتفرق الجماعة)،

ومن كان في هذه المنزلة فالخروج عليه كالخروج على أبي بكر وعمر !

ونحن انطلاقا من المثل القائل (من لم يرى السماء فوقه لا تنعتها له) لن نناقش الهيئة في هذه الصورة المثالية التي صورت بها البلاد ..

لكنا نضع أمامها صورة افتراضية فنقول :

لو قدر الله –لاقدر الله– أن بلاد الحرمين عصمها الله حكمتها حكومة –من غير آل سعود– توالي أعداء الله، وتعينهم على غزو بلاد المسلمين ونهب ثرواتها وقتل أبنائها وتقوم بسجن واعتقال الصادعين بالحق من العلماء، وتقوم بإرغام الهيئات الدينية على إصدار الفتاوى المؤيدة لها ..

فهل يجوز التظاهر ضد هذا النظام ؟

أما قول الهيئة :

(فإن الهيئة تؤكد أن للإصلاح والنصيحة أسلوبها الشرعي الذي يجلب المصلحة ويدرأ المفسدة، وليس بإصدار بيانات فيها تهويل وإثارة فتن وأخذ التواقيع عليها)..

فهذا الكلام خارج عن سياق الموضوع !

لأن ما يسعى إليه الناس اليوم ليس المناصحة ..

المناصحة استمرت على مدى أكثر من مائة سنة منذ هيمن آل سعود على هذه البلاد فلم تُجد المناصحة شيئا ولم يلقى الناصحون آذانا صاغية بل كان مصير الكثير منهم إما السجن وإما التهجير .

المتظاهرون اليوم لا يسعون إلى المناصحة وإنما يسعون إلى رفع الظلم ومدافعة الظالم ..

ورفع الظلم ليس له وسيلة محددة بل هو مشروع بكل ما أمكن من غير الممنوع ..

وباب الوسائل باب واسع في الشرع لا ينبغي تقييده إلا بدليل.

أظن أن النظام السعودي بجرائمه المتلاحقة وفضائحه المتكررة لم يترك لحلفائه من الشيوخ فرصة لحمايته او الدفاع عنه، فقد أحرق نفسه وأحرق كل من يسانده من الشيوخ ..

فحري بهيئة كبار العلماء أن تنأى بنفسها عن هذا النظام حتى تسلم من الحريق ..

وإلا فسيعتبرها الناس ميتة ويكبرون عليها أربعا ..

ولن يلتفتوا حينها إلا إلى هيئة كبار العلماء المسجونين خلف القضبان .

والله اعلم

والحمد لله رب العالمين .

كتبه :
ابو المنذر الشنقيطي
٠٦ ربيع الثاني ١٤٣٢ هـ .



منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.net
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com
http://www.mtj.tw